من رحلة الشتاء

في مضارب شمر

المشاريع الاصلاحية في البادية

للآنسة زينب الحكيم

١ — بدأ الشيخ مجيل الياور شيخ مشايخ شمر منذ سنة ١٩٣٠ يستعمل نفوذه ليوطن البدو التابعين له في قرى ، يطالب بأرضها لهم من الحكومة العراقية بحيث تكون وجهتهم احتراف الفلاحة ؛ وقد تمت هذه الصفقات لبعضهم فعلا ، وشجعهم الشيخ الياور بشراء بعض الآلات الزراعية من ماله الخاص ، مثل المحاريث التي استجلبها من ألمانيا عند ما زارها في أثناء زيارته الأخيرة لأوربا

كذلك ساعدهم بشراء بعض المواشي ، وبذور النبات ، وغرضه من هذا كله أن يسهل لهم احتراف الفلاحة وتحبيبها إليهم . على أني علمت أن هذه التجربة لم تسفر عن نجاح يوازي ما بذل من مساعدات وتشجيع . إذ وجد الشيخ أنه من العسير جداً استقرار البدو — ومن يستطيع أن يحد من حريتهم ؟! — ومع هذا استقر كثير من رؤساء العشائر في بعض القرى التي كونوها

ولعله لا يخفى على فطنة القارئ أنه وإن كان ملك البادية يعطف على البدو من رعاياه ، ويعطي لهم باليمين ، فانه يأخذ منهم باليسار أتاوات وجعولا على محاصيلهم وأغنامهم وجمالهم وغيرها . وهذا السبب عينه مما ينفر البدو في الاستيطان لكراهيتهم الخضوع للضرائب والتجنيد وما شابه ذلك

٢ — مدرسة ابتدائية

مما أثلج صدري حقيقة ، وجود مدرسة ابتدائية في وسط البادية . تأسست هذه المدرسة سنة ١٩٣٢ ، وبدأت أهلية حيث أنشأها الشيخ مجيل الياور على نفقته ، وبدأت بعدد قليل من الأولاد ، ولكنه عظيم بالنسبة لعوامل البيئة هناك . فافتتحت بخمسة وعشرين إلى ثلاثين ولداً من أبناء البدو ، ومن بينهم أولاد شيخ المشايخ بالضرورة ، يذهبون جميعاً لتلقي الدروس بالأمر المشدد من الشيخ وأمره مطاع ، وإن خالف ذلك ميولهم الخاصة . وشجع الشيخ هؤلاء بمنحهم السكن والملابس

سارت المدرسة في سبيل التقدم ، وسعى الشيخ لأن تدخل تحت إشراف الحكومة العراقية حتى تفوز بمنهج منظم ، وأساتذة فنيين ، وفعلا في سنة ١٩٣٤ أي بعد سنتين من إنشائها ، صارت مدرسة حكومية تمدها وزارة المعارف العراقية بالمعلمين والأدوات المدرسية من حيث الأثاث (وهو عبارة عن خيام بيضاء كبيرة ، ومناضد ومقاعد لجلوس الأولاد ، وسبورات مع حواملها) . أما أدوات الطلاب فلا تزال على نفقة الشيخ

وصار عدد تلامذتها الآن من ٥٠ إلى ٨٠ تلميذاً ، يتناقص أو يتزايد العدد بين هذين الرقمين بالنسبة لتنقل العشائر للرعى

الشيخ مجيل الياور ، شيخ مشايخ شمر في الوسط ، وفي طرف الصورة إلى اليسار ابنه الشيخ صفوك الياور ، وفي طرف الصورة الأيمن ، المدرس الأول بالمدرسة الابتدائية

ويوجد بين الأولاد بعض البنات ، وبالمدرسة ستة صفوف (أو فصول) وتتراوح أعمار التلاميذ بين ست ، وست عشرة . (وقيل لي : أحياناً يأتي إلى المدرسة أطفال في سن الرابعة أو الخامسة)

ويدرس بها على منهاج المدارس الابتدائية العراقية ، واللغة الانجليزية هي اللغة الأجنبية التي يتعلمها التلاميذ ابتداء من الصف الخامس ، ويستمر تعليمها في السادس

زرت هذه المدرسة في خيامها البديعة ، وكان حادثاً في حياة الأولاد وتجاربهم أن يروا ما هو مصرية ، فلحظت أنه بقدر

سرورهم بهذه المفاجأة ، كانت دهشتهم من سفر سيدة تلك المسافات البعيدة حتى وصلت إليهم . وكان شغفهم زائداً لسؤالهم إياى أسئلة شتى ، كما بدا لى على وجوههم ، ولكن كيف يجرؤون على مخاطبة سيدة !

كانت الدروس التى حضرتها فى مختلف الفرق متنوعة ، وكان أول درس حضرته:

(ا) درس حساب ، فبعد أن انتهى الأولاد من حل تمرين أعطى لهم فى دفاترهم ، وبعد تصحيحه أيضاً ، حبب إلىّ أن أعطيهم بعض التمارين العقلية ، فأدهشنى توقد ذكائهم ونشاطهم العجيب . فى أثناء ذلك فاجأت التلاميذ باختبار ذكاء بسيط ، فقلت : تعلمون شيئاً عن الموازين مثل الرطل والأقة مثلاً ؟ فقالوا: نعم . قلت : وأيهما أكثر ربحاً للشارى ، أرطل من البندق مقشور أم رطل بدون قشره ؟ فرفعوا أيديهم . وسألت أحدهم واتفق أنه خلط فى الاجابة ، فلم يرض باقى التلاميذ عن هذه الاجابة ؛ ولكنهم نظاميون جداً ، فلا يجاوبون بدون إذن . وفاجأنى تلميذ صغير من بينهم قبل أن أسأل غيره، بالسؤال الآتى:

من فضلك، أيهما أكثر عدداً ٢+٢أو٢×٢؟ قلت: لعلى لا أعرف ذلك، فلنسأل باقى التلاميذ. فقال: لا،هذه بتلك. فضحكت وسررت من جرأة البدوى النجيب ، ولمست سمات الانتصار على محيا زملائه

وهل يرضى البدوى بالهزيمة ولو كان فى ذلك حتفه ؟!

هنا أريد أن أوجه نظر القارئ الكريم إلى أن مشروع اختبار الذكاء أو غيره من الحركات الحديثة في التربية ، ليست مقصورة على عقل واحد أو جماعة واحدة ، وليست من اختصاص أمة دون أخرى

إن لكل أمة مقاييسها ، ولو لم يكن لدى هؤلاء البدو مقاييس ذكاء خاصة يعرفونها ويفهمونها فيما بينهم لما عاملنى هذا البدوى وزملاؤه من نوع عملى وجعلوها (دقة بدقة)

(ب) كان ثانى درس رأيته درس جغرافيا . دخلت الفصل وحييت التلاميذ ، وكانوا أكبر سنا من الفرقة التى رأيتها

وجدت خريطة كبيرة للقطر المصرى معلقة على السبورة ،

وبدأ الأستاذ يناقش تلاميذه فى معلوماتهم عن بلادى ، فكان حسن ذوق ومجاملة لطيفة ، وانتهزت الفرصة وقلت : ربما لم يسبق لكم يا تلاميذ رؤية مصرية قبلى ؟! فقالوا : لا ، ونحن سعداء برؤيتك . فشكرتهم ، وقلت : أو كنتم تتخيلون المرأة المصرية كما رأيتم الآن ؟ قالوا : لا ، كنا ننتظر رؤيتها فى ثياب سوداء ، فإن من العيب أن تلبس المرأة الثياب الملونة ، ولا سيما ما كان منها أبيض . قلت : لماذا ؟ فقالوا : إن اللون الأبيض من شمات الرجل ، أما المرأة فلها الثياب السود . (لم أستطع الوصول إلى التعليل المنطق منهم لهذا التخصيص ، ولعلها مجرد عادة نشأت من الاقتصاد فى الغسيل لقلة الماء والصابون فى الصحراء)

المدرسة الابتدائية بمضارب جميل الياور فى الجزيرة قرب سنجار

قلت: وهل تريدون أن تسألونى شيئاً عن مصر؟ قالوا بشوق: نعم . كيف حال فاروق الملك الشاب ؟ وهل هو تقى ؟ وهل هو يشبه سيدنا غازى الأول ؟ وهل فرح بالزفاف الملكى ؟ (قد وصلتهم أخبار الزفاف كلها وسمعوا حفلاته بالمذياع ملك شيخهم)

أجبتهم عن كل أسئلتهم ، وقد أصغوا إلىّ فى شوق زائد وسرور وغبطة

(ج) زرت التلاميذ فى أثناء درس فى اللغة العربية ، وكان مطالعة مع شرح بعض المعانى والإعراب . فسألت تلميذاً أن يُعرب « جلس التلاميذ بنظام » وحقا كانوا قد فعلوا ذلك ، وأردت أن أمتدحهم إذا ما فرغوا من إعراب الجملة ، فكان أول ماوجه المعلم أنظارهم إليه نطق الجيم فى جلس غير معطشة فقال :

هل لحظتم يا تلاميذى كيف تنطق السيدة المصرية الجيم فى جلس ؟ إنها خففتها وفق ما اتبعوه فى بلادهم

طلبت إلى الأستاذ أن يسمعنى التلاميذ بعض قطع شعرية مما يحفظون وبعض أناشيد ، وقد فعلوا ، أما الأناشيد فتاحتها ضعيف

ولما جاء دور المحفوظات استأذنت المدرس فى أن أختار أنا التلميذ ، وكان من بين التلاميذ شبيه لعنترة صغير ، فتوارد الخواطر ، اخترت هذا الأسود ليسمعنا قطعة من محفوظاته . ولكن التلاميذ ضحكوا وتغامزوا فيما بينهم على هذا الأسود ، وعلى غرابة اختيارى ، واتهموا ذوقى . فقلت : أيها التلاميذ النجباء لماذا تضحكون ؟ ألا يذكر أحد منكم الفارس العربى المقدام الشاعر الهمام ، عنترة العبسى الذى كان يقول :

« لئن أك أسوداً فالمسك لونى » ؟

ويقول :

لئن يعيبوا سوادى فهو لى نسب يوم النزال إذا ما فاتنى النسب ؟

ما أسرع البدوى إلى النخوة والشهامة ! لقد اعترف الأولاد بخطئهم حالا ، وقالوا فى نفس واحد : قم يا عنتر ونحن نتبعك . وقام هذا الأسود الصغير ، وأنى قطعة حماسية بالغة . ووالله لا أنسى أبداً منظر التلاميذ من خلفه ومن حوله ، وهم يشتركون معه فى الإلقاء الحماسى ، وكأنما تتحرك القناة فى أيديهم ، والأصائل تكر بهم وتفر لهزم العدو ، ولكسب شرف العرب . بارك الله فى أبناء البدو الناهضين وقواك الله يا قبائل ثمر

بعد هذه المعركة الحماسية قلت لتلميذ فى طرف الخيمة ، وقد شهدت على وجهه انفعالا : ماذا تريد أن تنال لو خيرت فى نيل أمنية ؟ قال فى غير توان : فرس أصيلة ، لأريك أنى أبز عنترة العبسى وأباه

فتوجهت إلى الشيخ وسألته : كم ثمن الفرس الأصيلة ؟ وعزمت أكيدا أن أترك للتلميذ ثمن الفرس لينال رغبته ، ولكن الشيخ لم يقبل ، ووعد أن يعطيه فرسا من عنده

(د) حضرت درساً إنجليزياً « مطالعة ، ومحفوظات ، وتركيب جمل » والتقدم الذى لحظته على التلاميذ كبير ، ولفت نظرى توقد ذكاء تلميذ من بينهم ، وشدة لمعان عينيه ، فسألت : من يكون هذا التلميذ ؟ فقيل لى : إنه ابن الشيخ عجيل الياور الذى ساح فى أوربا كلها مع والده بعد حضور حفلات تتويج ملك الانجليز

فسألته عما أعجبه أكثر من غيره من البلاد الأوربية ؟ فقال فى إيجاز وتأكيد : أعجبت بسويسرا لجمالها ، وانجلترا لتقاليدها ونظامها ، وألمانيا لاختراعاتها ونظامها ونظافتها . وهذا التلميذ موجود الآن بكلية فكتوريا بالاسكندرية هو وأخوه ، حيث أحضرهما إلى مصر ، أخوهما الأكبر الشيخ صفوك الياور ، وألحقا بهذه الكلية من بدء العام الدراسى . وكانت مفاجأته لنا بالزيارة حلماً تحقق . هذا ويجلس تلاميذ مدرسة البدو هذه لتأدية الامتحان النهائى لمرحلة التعليم الابتدائى ، فى الأماكن التى تخصصها الحكومة العراقية ، فيرحل التلاميذ عادة إما إلى لجنة الموصل أو سنجار

وقد وجد أن أولاد البدو فى مستوى أولاد الحضر ، بل يفوقونهم فى نسبة النجاح فى الامتحانات العامة

ما دخل العلم بيئة طيبة إلا أثمر فيها وأنتج نتاجاً حسناً . وإنى أعلق أهمية كبرى على هذه المدرسة فى إيقاظ البدو ، وأعدها أول نواة صالحة للأخذ بيدهم فى مدارج الحياة الانسانية الحقيقية

« للحديث بقية »

زينب الحكيم

والإنسان يبحث عن أسباب الشباب . أما العثور على هذا السر الطبيعى فلم يكشف الإصبع إلا لطبة عالم الطبيعيات الهربرتات الذى يرجع فيه وللدكتور فيادة . بدون صنائع . العلامة الأستاذ الدكتور جاجنوس أحمد شفلد . فقد قدم جناب فيستى الإنسان ف لوتوتيطس الوسيلة الطبيعية الوحيدة لحفظ قوى الشباب والوقاية من أمراض الشيخوخة المبكرة . ابتدأ رصيده : فى حالات . سرعة القذف . يجب استعمال . فوتى تيطس نمرة ٣ . ولأجل معرفة كل ما يختص بالأمور الناسلية يجب مطالعة كتاب . الحياة الجديدة . الذى يرسل إليك نظيرة للنسخة الفرنسية أو الإنجليزية المجلدة برسوم ذات ٥ ألوان و٣ للنسخة العربية . أرسل المبلغ لمراسيل بريدى : جلاتهوروميين ص ب ٢١٠٥ بمصر